رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير | جزء الذاريات

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 1- سورة الحديد | من الأية 1 إلى 3

عبدالرحمن العجلان

محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن سبح لله ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير - 00:00:00

هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هذه الايات الكريمة هي فاتحة سورة الحديد وهي اول التسابيح قال جمع من العلماء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما - 00:00:37

وعن ابن الزبير رضي الله عنهما ان هذه السورة مدرية يعني نزلت المدينة وقال بعض العلماء انها مكية واستدل على هذا فيما روي في قصة اسلامي عمر بن الخطاب رضي الله عنه - 00:01:09

انه خرج من بيته وقابله شخص وقال له وهو عمر على حال كفره فقال له انت عمر وتزعم وتزعم وقد دخل ما دخل في بيتك قال وما الذي حصل قال اسلمت اختك - 00:01:46

وختنك اتبعوا محمد يقول وتأثر من هذا اثرا شديدا وذهب مسرعا الى بيت اخته وزوجها وطرق الباب فقالوا من؟ فقال عمر فخافوا ورهبوا واختفوا يقول فدخل ولم يجد احدا اختفوا - 00:02:15

خوفا منه فوجد صحيفة ساقطة تركوها او نسوها فرفعها وقرأها فاذا فيها اول سورة الحديد الى قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد - 00:02:48

تقاتلوا اولئك لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير او الى قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم - 00:03:39

وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين او انه طلب الصحيفة من فاطمة اخته فابت ان تعطيها اياه وقالت ان هذا سلام منزه وانت نجس لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر - 00:04:12

وهذه الصحيفة لا يمسها الا المطهرون فصار غضبا ثم هدأ غضبه او ضرب اخته حتى سال الدم منها ثم ارعوى ولان ثم انه قال ماذا يفعل من اراد ان يسلم - 00:04:40

فسرت واستبشرت وخرج من كان مختفي ثم اغتسل وشهد ان لا اله الا الله وناولته الصحيفة وقرأها وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم في دار الارقم واعلن اسلامه الله عنه - 00:05:06

وقالوا ان هذه القصة تدل على ان سورة الحديد نزلت بمكة وهذا لا ينافي ويمكن ان الجمع بينها بان صدر سورة الحديد نزل بمكة وان اخرها نزل في المدينة فجزء منها مكي وجزء منها مدني - 00:05:28

وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سور المسبحات قبل ان يرقد في كل ليلة وهن سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغافل سبح لله ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم - 00:05:57

سبح التسبيح هو التنزيه والتقديس يعني سبح الله ونزه الله عن ان يوصف بما لا يليق بجلاله وعظمته سبح لله ما في السماوات ما يؤتى بها لغير العاقل ومن يؤتى بها للعاقل - 00:06:25

فاحيانا يؤتى بماء واحيانا يؤتى بمن يسبح له من في السماوات فاذا اوتي بما فهو تغليب لغير العاقل لكثرته واذا اوتي بمن فهو تغليب للعاقل لعقله وادراكه سبح لله ما في السماوات - 00:07:01

ما بمعنى الذي هنا سبح لله الذي في السماوات والارض يعني كل من في السماوات وكل من في الارض يسبحون الله وينزهونه ويعظمونه وسبح من الافعال المتعدية يعني يصح ان تتعدى بنفسها - 00:07:44

فيقال سبح الله سبح الله تعدى بنفسه ويصح ان يعدى باللام ويقال سبح لله وتكون اللام حينئذ اما زيادة للتأكيد واما هي للتعليل اي سبح لاجل الله جل وعلا وجاء التسبيح لله جل وعلا - 00:08:17

بكل انواع التصريف جاء بالمصدر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى. سبحان مصدر وجاء بفعل الماضي سبح لله ما في السماوات والارض في سورة الحديد - 00:09:01

وسورة الحشر وسورة الصف في ثلاث سور من المسبحات وجاء بلفظ المضارع يسبح لله في سورتي الجمعة والتغابن وجاء بلفظ الامر سبح اسم ربك الاعلى بسورة الاعلى وجاء الترتيب على النسق المناسب - 00:09:33

بدأ اولا بالمصدر في سبحان الذي اسرى بعبده لانه ابلغ ثم بالفعل الماضي لانه اول التصريف وهو يدل على قدم التسبيح ثم جاء بعده بالمضارع وهو الذي يدل على الحال وعلى - 00:10:14

المستقبل ثم جاء اخرها بالامر الذي هو يدل على الفعل مستقبلا فقط افعل سبح اسم ربك الاعلى سبح لله ما في السماوات والارظ يعني كل ما في السماوات من الملائكة - 00:10:37

وغيرها ومن الاجرام والكواكب والنجوم والشمس والقمر والارض ما فيها الارض وما عليها من جن وانس وشجر وحجر وماء وجبال وانهار وغير ذلك وحيوانات من حيوان وطيور وجواحف وحشرات وكل ما في الارض - 00:11:07

سبح لله ما في السماوات والارض وما هذا التسبيح تسبيح العاقل باللسان تسبيح الملائكة بالنطق والجن والانس وتسبيح غير العاقل ما المراد بذلك المراد به التسبيح يعني الدلالة على عظمة الله - 00:11:44

وقدرته وربوبيته واستحقاقه للالوهية وحده لا شريك له يعني هذا التسبيح تسبيح الحال لا بالمقال لغير العاقل في الحال يعني بالدلالة هذا قول لبعض العلماء لان الجبل مثلا لا يسبح بالنطق - 00:12:25

والشجر والحجر والنبات لا يسبح بالنطق. هذا قول لهم رحمهم الله القول الاخر ان التسبيح من جميع المخلوقات في المقال ولكن كل بحسبه واستدل هؤلاء بايتين من كتاب الله جل وعلا - 00:12:59

في قوله تعالى وان من في السماوات والارض وما من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قالوا لو كان التسبيح بالحال دون المقال لا فوقها وعلم لان دلالة المخلوق على الخالق دلالة يدركها كل احد - 00:13:30

وعظمة المخلوق وعظمة الخالق تظهر من وجود المخلوق العظيم ان خالقه اعظم منه جل وعلا. وهو الله خالق المخلوق العظيم اعظم منه وقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم دليل على ان المراد التسبيح بالمقال لكن كل بحسبه - 00:14:04

وكذلك قوله جل وعلا في الجبال التي تسبح وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن قالوا الجبال تسبح مع داوود على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بظاهر كتاب الله جل وعلا ولو كان تسبيح الجبال بالدلالة على وحدانية الله بوجودها فقط - 00:14:42

ما اختص هذا بداوود. هذا يدركه كل احد ان عظمة المخلوق تدل على ان الخالق اعظم ووجود المخلوق يدل على تنزه الخالق جل وعلا. هذا يدركه كل احد وليس داوود فقط. ولكن الجبال تسبح مع داوود - 00:15:18

فكان اذا قرأ او سبح نادت معه الجبال بالتسبيح وقالوا هاتان الايتان تدلان على انها تسبح المخلوقات الاخرى تسبيحا على يناسبها وليس المراد التسبيح الدلالة على تنزه الله وانما هي تسبح تسبيحا حقيقيا يعلمه الله جل وعلا - 00:15:46

سبح لله ما في السماوات والارض وهو العزيز وهو العزيز العزة الغلبة والقهر وهو القاهر وهو الغالب جل وعلا العزيز الحكيم والحكمة وضع الشيء في موضعه وكثيرا ما يقرن الله جل وعلا - 00:16:21

بين هذين الاسمين العظيمين له تعالى لان العزة في المخلوق غالبا ما تغلب عليها الطيش والسرعة وعدم التروي لانه لا يسأل عما يفعل

اذا كان قوي يقول ما يريد ويؤكد على تنفيذه ولا احد يستطيع ان يقف في وجهه سواء كان قوله خطأ او صواب - 00:16:59
لانه ما حدا يعترض عليه المخلوق العزيز فكثيرا ما تكون هذه الاقوال والافعال الصادرة عن عزة غير محكمة وغير حكيمة لانه كما يقال بعض المخلوق تأخذه العزة بالاثم لقوته وعزته وغلبته - 00:17:48
لا يستشير ولا يفكر ولا احد يعترض عليه ما اراده نطق به وقاله وامر بتنفيذه حق او او خطأ هذا في حق المخلوق والله جل وعلا عزيز ومع عزته جل وعلا وغلبته وقهره - 00:18:15
حكيم يظع الاشياء مواضعها وجل وعلا عزيز لا يغالب ولا يعارض ولا يرد له امر ومع عزته جل وعلا فهو حكيم يضع الاشياء مواضعها اللائقة بها والحكيم في الخلق قد يكون عنده حكمة - 00:18:44
وعنده تروي وفهم للامور لكن يقتنع من شيء لا يستطيع تنفيذه ما يساعد وما يجد من يعينه هو حكيم عارف بالامور لكن ما ما يعان ما يقدر على تنفيذ ما فكر فيه وتروى فيه - 00:19:23
قد يكون عزيزا فتكون افعاله واقواله مقرونة بالطيش والعجلة وعدم المبالاة وكثيرا ما تكون غير صواب وقد يكون حكيم يعرف الاشياء ويتروى فيها لكن ما عنده قدرة وقوة ينفذ بها ما فكر فيه - 00:19:50
رسمه ورتبه فهما في المخلوقين لا تجتمعان غالبا وفي الله جل وعلا هو العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي يظع الاشياء مواضعها والعزيز والحكيم اسمعني عظيمان لله جل وعلا ولله جل وعلا الاسماء الحسنى - 00:20:18
واهل السنة والجماعة في اسماء الله وصفاته وسط بين فئتين وفرقتين ضالتين وهدى الله اهل السنة والجماعة الى الحق الفئتان الظالتان فئة اثبتت الاسماء والصفات لله جل وعلا لكنها شبهتها بصفات المخلوقين - 00:20:59
من زيادة الاثبات قال قائلهم له يد كيدي وقدم كقدمي ووجه كوجهي تعالى الله وهذا لا يليق بالله جل وعلا. الاثبات حسن لكن التشبيه ظلال الفرقة الاخرى قالت لو اثبتنا هذه الصفة - 00:21:35
لاثبتنا التشبيه لكن ننفي الصفة تعطلوا الله جل وعلا من صفاته في التنزيه تجاوزوا الحد قالوا يترتب على الاثبات تشبيه الله جل وعلا بخلقه ونحن ننزه الله ان نشبهه بالمخلوقين - 00:22:03
فحملهم هذا على التعطيل فعطلوا الله جل وعلا من صفاته واهل السنة والجماعة اثبتوا اثباتا بلا تشبيه ونزهوا الله جل وعلا تنزيها بلا تعطيل فاثبتوا لله ما اثبته لنفسه واثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:22:29
ونفوا عن الله جل وعلا كل ما لا يليق بجلاله وعظمته والاثبات توقيفي يعني ما نثبت اسما لله جل وعلا ولا نثبت صفة لله جل وعلا الا ما ثبت في الكتاب او السنة - 00:23:05
والنفي اجمالا ننفي عن الله جل وعلا كل ما لا يليق بجلاله وعظمته يخبر تعالى انه يسبح له ما في السماوات والارض من الحيوانات والنبات كما قال في الاية الاخرى - 00:23:34
يسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وهو العزيز اي الذي قد خضع له كل شيء - 00:24:01
الحكيم في خلقه وامره وشرعه له ملك السماوات والارض يحيي له ملك السماوات والارض اي هو المالك وحدة جل وعلا ليه ما في السماوات للسموات ومن فيهن وللاراضين ومن فيهن جل وعلا - 00:24:25
له ملك السماوات والارض يحيي من شاء ويميت من شاء وهو على كل شيء قدير كل شيء تحت قدرته جل وعلا وتصرفه ما يقال هذا يعجز الله تعالى الله ولا هذا - 00:24:53
لا ينفذ او لا ينفذ امر الله او هذا لا يأتي من الله او هذا لا يتصرف فيه الله بل هو جل وعلا على كل شيء قدير وشيء نكرة يعم الصغير والكبير والحقير والعظيم وكل شيء - 00:25:26
له ملك السماوات فهو المالك جل وعلا له ملك السماوات والارض يحيي ويميت هو الذي يحيي اذا اراد ويميت الحي اذا اراد جل وعلا فهو القادر على ان يجعل الجماد - 00:25:57

حيا يتحرك كما يجعل النطفة انسانا ويميت الحي المتصرف المتحرك صاحب الارادة والقدرة والعظمة من المخلوقين متى ما اراد جل وعلا سلبه الروح وسلبه الحياة وصار جثة هامدة وهو على كل شيء قدير لا يقال هذا يعجز الله - 00:26:25

او هذا لا ينفذ امر الله او هذا لا يجري عليه امر الله بل هو جل وعلا على كل شيء قدير له ملك السماوات والارض يحيي ويميت اي هو المالك المتصرف في خلقه - 00:27:05

ويحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء وهو على كل شيء قدير هو الاول قبل كل شيء جل وعلا فلا بداية والاخر بعد كل شيء جل وعلا بلا نهاية والله - 00:27:29

فوق كل شيء جل وعلا وهو الغالب سبحانه والباطن احاط بكل شيء علما وان دق وخفي فهو الاول قبل كل شيء سبحانه وتعالى والاخر بعد كل شيء سبحانه وتعالى والظاهر - 00:27:59

الغالب والعالي الظاهر وجوده سبحانه والباطن العالم بما بطن من قولهم فلان يبطن امر فلان فلان يبطن امر فلان يعني يعلم خفية يعلم اسراره فهو جل وعلا احاط بكل شيء علما - 00:28:27

وورد ان هذه الاية في سورة المسبحات هي افضل من الف اية هو الاول والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:29:07

تسأله خادما فقال عليه الصلاة والسلام لها قولي اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم وربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته - 00:29:35

انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوق واغننا من الفقر لما جاءت تسأله خادم يعينها على شؤون المنزل قال لها قولي هذا القول هو خير لك من خادم - 00:30:10

واخرج الامام احمد ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة عن عمر وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل - 00:30:41

يا الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والاخر بعد كل شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم - 00:31:15

فجاء تفسير الاول والاخر والظاهر والباطن بهذين الحديثين. فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم نعم هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهذه الاية هي المشار اليها في حديث عرباض ابن سارية - 00:31:40

انها افضل من الف اية وقال البخاري قال يحيى للظاهر على كل شيء علما والباطن على كل شيء علما واخرج ابو داوود عن ابي زمير قال سألت ابن عباس وقلت - 00:32:04

ما شيء اجده في صدري قال ما هو قلت والله لا اتكلم به يعني استعظم ان اتكلم به شيء وسوسة في صدري كيف علاجه قلت والله لا اتكلم به قال - 00:32:32

فقال لي شيء من شك؟ يعني عندك شيء من شك ما تستطيع ان تتكلم به قال وضحك طالما نجا من ذلك احد حتى انزل الله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل - 00:33:01

فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك الاية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيئا فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اي لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات - 00:33:27

وهذا التابعي يشكو على ابن عباس رضي الله عنهما شيء يجده في نفسه يستحي ويستصعب ان يقوله فارى بدأ ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا وجدت مثل هذا وهذا قد لا ينجو منه احد - 00:33:59

فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. وقف عند هذا واصرف تفكيرك عما لا يليق بالله تعالى قال الامام احمد عن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة - 00:34:18

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل

التوراة والانجيل والفرقان. كلها بالنصب لانها منادى مضاف - 00:34:44
خالق الحب والنوى لا اله الا انت اعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء - 00:35:06
وانت الباطن فليس دونك شيء اقضي عنا الدين واغننا من الفقر والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:35:27